فوافى بالمعصية موافاة وطابق بها سابق العلم مطابقة قوله فاهبطه بعد التوبة قد اختلف الناس في ذلك فقال قوم بل اهبطه قبل
التوبة ثم تاب عليه وهو في الارض وقال قوم تاب قبل الهبوط وهو قول امير المؤمنين ع ويدل عليه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات
فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاخبر عن انه اهبطهم بعد تلقي الكلمات والتوبة وقال تعالى في
موضع آخر وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض
مستقر ومتاع الى حين فبين ان اعترافهما بالمعصية واستغفارهما كان قبل امرهما بالهبوط وقال في موضع آخر وعصى آدم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا فجعل الاهباط بعد الاجتباء والتوبة واحتج الاولون بقوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قالوا فاخبر سبحانه عن امره لهم بالهبوط عقيب
ازلال الشيطان لهما ثم عقب الهبوط بفاء التعقيب في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فدل على ان التوبة قبل الهبوط ثم يمكن
ان يجاب عن هذا فيقال انه تعالى لم يقل فقلنا اهبطوا بالفاء بل قال وقلنا اهبطوا بالواو والواو لا يقتضي الترتيب ولو قال فقلنا
اهبطوا لكانت صريحة في ان الاهباط كان عقيب الزلة فاما الواو فلا يدل على ذلك بل يجوز ان يكون التوبة قبل الاهباط ويخبر
عن الاهباط بالواو قبل ان يخبر عن التوبة قوله ع وليقيم الحجة به على عباده اي اذا كان ابوهم اخرج من الجنة بخطيئة واحدة
فاخلق بها ان لا يدخلها ذو خطايا جمة وهذا يؤكد مذهب اصحابنا في الوعيد ثم اخبر عليه السلام ان الباري سبحانه ما اخلى عباده بعد
قبض آدم وتوفيه مما يؤكد عليهم حجج الربوبية ارسل اليهم الرسل قرنا فقرنا بفتح القاف وهو اهل الزمان الواحد قال الشاعر
اذا ما مضى القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب وتعاهدهم بالحجج اي جدد العهد عندهم بها ويروى بل تعهدهم
بالتشديد والتعهد التحفظ بالشيء تعهدت فلانا وتعهدت ضيعتي وهو افصح من تعاهدت لان التفاعل انما يكون بين شيئين
تقول فلان يتعهده صريح قوله وبلغ المقطع عذره ونذره مقطع الشيء حيث ينقطع ولا يبقى خلفه شيء منه اي لم يزل يبعث الانبياء
واحدا بعد واحد حتى بعث محمدا ص فتمت به حجته على الخلق اجمعين وبلغ الامر مقطعه اي لم يبق بعده رسول ينتظر وانتهت
عذر الله تعالى ونذره فعذره ما بين للمكلفين من الاعذار في عقوبته لهم ان عصوه ونذره ما انذرهم به من الحوادث ومن
انذرهم على لسانه من الرسل واعلم ان المتكلمين اختلفوا في عصمة الانبياء عليهم السلام ونحن نذكر هاهنا طرفا من حكاية
المذاهب في هذه المسألة على سبيل الاقتصاص ونقل الآراء على سبيل الحجاج ونخص قصة آدم ع والشجرة بنوع من النظر اذ
كانت هذه القصة مذكورة في كلام امير المؤمنين عليه السلام بطريق الاصل فنقول اختلف الناس في المعصوم ما هو فقال بعضهم المعصوم
هو الذي لا يمكنه الاتيان بالمعاصي وهؤلاء هم الاقلون من العلماء واختلفوا في عدم التمكن كيف هو فقال قوم منهم المعصوم
هو المختص في نفسه او بدنه او فيهما بخاصية تقتضي امتناع اقدامه على المعاصي وقال قوم منهم بل المعصوم مساو في الخواص النفسية
والبدنية لغير المعصوم وانما العصمة هي القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية وهذا قول الاشعري نفسه وان كان كثير
من اصحابه قد خالفه فيه وقال الاكثرون من اهل النظر بل المعصوم مختار متمكن من المعصية والطاعة وفسروا العصمة بتفسيرين
احدهما انها امور يفعلها الله تعالى بالمكلف فيقتضي له ان لا يفعل المعصية اقتضاء غير بالغ الى حد الايجاب وفسروا هذه الامور فقالوا
انها اربعة اشياء اولها ان يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور داعية الى العفة وثانيها العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة
وثالثها تاكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله تعالى ورابعها انه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا
بل يعاتب وينبه ويضيق عليه العذر قالوا فاذا اجتمعت هذه الامور الاربعة كان الشخص معصوما عن المعاصي لا محالة لان ملكة
العفة اذا انضاف اليها العلم بما في الطاعة من السعادة وما في المعصية من الشقاوة ثم اكد ذلك تتابع الوحي اليه وترادفه وتظاهر
البيان عنده وتمم ذلك خوفه من العتاب على القدر القليل حصل من اجتماع هذه الامور حقيقة العصمة وقال اصحابنا العصمة
لطف يمتنع المكلف عند فعله من القبيح اختيارا وقد يكون ذلك اللطف خارجا عن الامور الاربعة المعدودة مثل ان يعلم الله تعالى
انه ان اسحب سحابا او اهب ريحا او حرك جسما فان زيدا يمتنع عن قبيح مخصوص اختيارا فانه تعالى يجب عليه فعل ذلك ويكون هذا اللطف

عصمة لزيد وان كان الاطلاق المشتهر في العصمة انما هو لمجموع الالطاف يمتنع المكلف بها عن القبيح مدة زمان تكليفه ونحن نبني هذا
الكلام بعد هذه المقدمة في ثلثة فصول الفصل الاول في حال الانبياء عليهم السلام قبل البعثة ومن الذي يجوز ان يرسله الله تعالى
الى العباد وهو قسمان فالذي عليه اصحابنا المعتزلة رحمهم الله تعالى انه يجب ان ينزه النبي ص قبل البعثة عما كان فيه تنفير عن الحق
الذي يدعو اليه وعما فيه غضاضة وعيب فالاول نحو ان يكون كافرا او فاسقا وذلك لانا نجد التائب العائد الى الصلاح بعد ان
عهد الناس منه السخف والمجون والفسق لا يقع امره بالمعروف ونهيه عن المنكر عند الناس موقعهما ممن لم يعهدوه الا على السداد
والصلاح والثاني نحو ان يكون حجاما او حائكا او محترفا بحرفة يقذرها الناس ويستخفون بصاحبها الا ان يكون المبعوث
اليهم على خلاف ما هو المعهود الآن بان لا يكون من تعاطى ذلك مستهانا به عندهم ووافق اصحابنا في هذا القول جمهور المتكلمين
وقال قوم من الخوارج يجوز ان يبعث الله تعالى من كان كافرا قبل الرسالة وهو قول ابن فورك من الاشعرية لكنه زعم ان هذا
الجائز لم يقع وقال قوم من الحشوية قد كان محمد ص كافرا قبل البعثة واحتجوا بقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى وقال برغوث المتكلم
هو احد النجارية لم يكن النبي ص مؤمنا بالله قبل ان بعثه لانه تعالى قال له ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وروي عن السدي
في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قال وزرك الشرك فانه كان على دين قومه اربعين سنة وقال بعض
الكرامية في قوله تعالى حكاية عن ابراهيم ع قال اسلمت انه اسلم يومئذ ولم يكن من قبل ذلك مسلما ومثل ذلك قال اليمان بن رباب
متكلم الخوارج ونقل كثير من ارباب المقالات عن شيخينا ابي الهذيل وابي علي رحمهما الله جواز ان يبعث الله تعالى من قد ارتكب كبيرة
قبل البعثة ولم اجد في كتب اصحابنا حكاية هذا المذهب عن الشيخ ابي الهذيل ووجدته عن ابي علي ذكره ابو محمد بن متويه في كتاب الكفاية
نقلا عن الاشعريين ما يحكى من مذهبهم من تجويز بعثة من كان فاسقا قبل النبوة الا بانه وجد من كتاب الشيخ ابي علي رحمه الله
من ثبوت فصل بين البعثة وقبل البعثة فاجاز ان يكون قبل البعثة مرتكبا للكبيرة ثم يتوب فيبعثه الله تعالى حينئذ وهو مذهب
يحكى عن عبد الله بن العباس الرامهرمزي ثم قال الشيخ ابو محمد والصحيح من قول ابي علي رحمه الله مثل ما يختاره من التسوية بين حال
البعثة وقبلها في المنع من جواز ذلك وقال قوم من الاشعرية ومن اهل الظاهر وارباب الحديث ان ذلك جائز وواقع واستدلوا
باحوال اخوة يوسف ومنع المانعون من ذلك من نبوة اخوة يوسف ثم هؤلاء المجوزون منهم من جوز عليهم فعل الكبائر مطلقا
ومنهم من جوز ذلك على سبيل الندرة ثم يتوبون عنه ويشتهر حالهم بين الخلق بالصلاح فاما لو فرضنا اصرارهم على الكبائر بحيث
يصيرون مشهورين بالفسق والمعاصي فان ذلك لا يجوز لانه يفوت الغرض من ارسالهم ونبوتهم على هذا التقدير وقالت الامامية
لا يجوز ان يبعث الله تعالى نبيا قد وقع منه قبيح قبل النبوة لا صغيرا ولا كبيرا لا عمدا ولا خطأ ولا على سبيل التأويل والشبهة وهذا
المذهب مما تفردوا به فان اصحابنا وغيرهم من المانعين للكبائر قبل النبوة لم يمنعوا وقوع الصغائر منهم اذا لم تكن مسخفة منفرة
وطردت الامامية هذا القول في الائمة فجعلت حكمهم في ذلك حكم الانبياء في وجوب العصمة المطلقة لهم قبل النبوة وبعدها الفصل
الثاني في عصمة الانبياء في زمن النبوة عن الذنوب في افعالهم وتروكهم عدا ما يتعلق بتبليغ الوحي والفتوى في الاحكام جوز قوم
من الحشوية عليهم هذه الكبائر وهم انبياء كالزنا واللواط وغيرهما وفيهم من جوز ذلك بشرط الاستسرار دون الاعلان وفيهم من جوز
ذلك على الاحوال كلها ومنع اصحابنا المعتزلة رحمهم الله من وقوع الكبائر منهم عليهم السلام اصلا ومنعوا ايضا من وقوع الصغائر
المسخفة منهم وجوزوا وقوع الصغائر غير المسخفة منهم ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبي الاقدام على ارتكاب الصغيرة غير المسخفة
عمدا وهو قول شيخنا ابي هاشم فانه اجاز ذلك وقال انه لا يقدم النبي ص على ذلك الا على خوف ووجل ولا يتجرأ على الله سبحانه
ومنهم من منع من تعمد اتيان الصغيرة وقال انهم لا يقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنوبا بل على سبيل التأويل ودخول الشبهة
وهذا قول ابي علي وحكي عن ابي اسحق النظام وجعفر بن مبشر ان ذنوبهم لا تكون الا على سبيل السهو والنسيان وانهم مؤاخذون
بذلك وان كان موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى ودلائلهم اكثر واخطارهم اعظم ويتهيأ لهم من التحفظ ما لا يتهيأ لغيرهم
وقالت الامامية لا يجوز عليهم الكبائر ولا الصغائر لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التأويل والشبهة وكذلك قولهم في الائمة والخلاف
بيننا وبينهم في الانبياء يكاد يكون ساقطا لان اصحابنا انما يجوزون عليهم الصغائر لانه لا عقاب عليها وانما تقتضي نقصان الثواب
المستحق على قاعدتهم في مسألة الاحباط فقد اعترف اذا اصحابنا بانه لا يقع من الانبياء ما يستحقون به ذما ولا عقابا والامامية

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)